



Arabic Translation Work:**Haluk Soydan (Author)****A study of the history of ideas in social work - A theoretical framework*****Lahoussine Sousan^{1*} & Ibrahim Hammouch² (Translators)**¹Ibn Zohr University, Agadir, Morocco; University of Kassel, Kassel, Germany²Ibn Zohr University, Agadir, MoroccoEmail 1 (Corresponding author): ahoussine.sousan.61@edu.ac.ma; uk101175@student.uni-kassel.deEmail 2: hammouchbrahim96@gmail.comOrcid iD 1 : 0009-0000-4360-9244 ; Orcid iD 2 : 0009-0007-4574-2533

Received	Accepted	Published
01/11/2025	16/04/2026	29/04/2026

doi : 10.63939/ajts.kww98449

Cite this article as : Soydan, H. (2026). A study of the history of ideas in social work - A theoretical framework (L. Sousan & I. Hammouch, Arabic trans.). *Arabic Journal for Translation Studies*, 4(15).
<https://doi.org/10.63939/ajts.kww98449>

Abstract

The aim of this article is to develop a theoretical frame of reference to study and assess the roots of the history of ideas in social work. The point of departure is social work as a practical and professional activity and a scientific discipline. It is argued that a description and analysis of the background of the history of ideas in social work must be anchored in the development of the social sciences. The theoretical framework is generated from two variables that play a central role in the development of ideas in the social sciences. The interplay between theory and practice, as well as the nature of social problems are central themes for classical authors. The theoretical framework developed in this study can be used 1) to make a typology of classical authors and of agents of social action to systematize similarities and dissimilarities between these and to study lines in the history of ideas leading to modern thinking in social work; and 2) to justify chosen classical texts as classics of social work. Thus, the framework can be used for the purpose of generating hypotheses in research work.

Keywords: Social Work, Theoretical Framework, History of Ideas, Theory and Practice

© 2026, Sousan & Hammouch, licensee Democratic Arabic Center. This Translated Paper is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

* Soydan, H. (1993). A study of the history of ideas in social work – a theoretical framework. *Scandinavian Journal of Social Welfare*, 2(4), 204-214.

عمل مترجم:

هالوك سويدان (المؤلف)

دراسة في تاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي: إطار نظري

الحسين سوسان^{1*} وإبراهيم حموش² (المترجمان)¹ جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب؛ جامعة كاسل، كاسل، ألمانيا² جامعة ابن زهر، أكادير، المغربالإيميل 1 (المؤلف المراسل): ahoussine.sousan.61@edu.ac.ma; uk101175@student.uni-kassel.deالإيميل 2: hammouchbrahim96@gmail.comأوركيد 1: [0009-0000-4360-9244](https://orcid.org/0009-0000-4360-9244)؛ أوركيد 2: [0009-0007-4574-2533](https://orcid.org/0009-0007-4574-2533)

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الاستلام
2026/04/29	2026/04/16	2025/01/11

doi : 10.63939/ajts.kww98449

للاقتباس: سويدان، ه. (2026). دراسة في تاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي: إطار نظري (ترجمة: الحسين سوسان وإبراهيم حموش). *المجلة العربية لعلم الترجمة*, 4 (15). <https://doi.org/10.63939/ajts.kww98449>.

ملخص

تهدف هذه المقالة إلى تطوير إطار مرجعي نظري لدراسة وتقييم جذور تاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي. تنطلق هذه الدراسة من اعتبار العمل الاجتماعي نشاطاً عملياً ومهنيًا، وفي الوقت نفسه تخصصًا علميًا. وتؤكد المقالة أن وصف وتحليل الخلفية الفكرية للعمل الاجتماعي يجب أن يكونا متجذرين في التطور التاريخي للعلوم الاجتماعية. يركز الإطار النظري المقترح على متغيرين أساسيين لعبا دورًا محوريًا في تطور الأفكار داخل العلوم الاجتماعية، وهما: العلاقة بين النظرية والممارسة، وطبيعة المشكلات الاجتماعية. وتُعدّ المشكلات الاجتماعية موضوعًا مركزيًا لدى المفكرين الكلاسيكيين. ويمكن استخدام الإطار النظري المطور في هذه الدراسة من أجل: (1) بناء تصنيف للمفكرين الكلاسيكيين ووكلاء الفعل الاجتماعي بهدف تنظيم أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ودراسة المسارات الفكرية التي أدت إلى الفكر الحديث في العمل الاجتماعي. (2) تبرير اختيار بعض النصوص الكلاسيكية واعتبارها من كلاسيكيات العمل الاجتماعي. وبذلك يمكن استخدام هذا الإطار النظري كأداة لتوليد الفرضيات في البحث العلمي في مجال العمل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: العمل الاجتماعي، الإطار النظري، تاريخ الأفكار، النظرية والتطبيق

© 2026، سوسان وحموش، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.

نشر هذا النص المترجم وفقًا لشروط (CC BY-NC 4.0) International (Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0).

تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

تقديم¹:

تزايدت الحاجة إلى ترسيخ موضوع العمل الاجتماعي ضمن سياق تاريخ الأفكار منذ تأسيسه كتخصص أكاديمي يتمتع بكراسيه الأكاديمية الخاصة. ويُعد مثل هذا الترسخ ضروريًا لأي تخصص، لما يفضي إليه من توضيح لدوره النظري والمنهجي والمجتمعي. وقد طُرِح سؤال؛ ماهية العمل الاجتماعي مرارًا، وقُدِّمت له تعريفات إجرائية وأخرى شرطية، دون أن يتحقق اتفاق حول مجاله الأساسي أو حدوده أو موضوع دراسته أو نظرياته أو منهجه الخاص.

يُتصوَّر العمل الاجتماعي بالنسبة لي في هذا السياق بوصفه ممارسة مهنية وتخصصًا علميًا في آن واحد. ولا تخلو نقطة الانطلاق هذه من إشكالات، لكنها قد تكون الوحيدة الممكنة. فما زال هناك نقص في إطار مرجعي مفصل يُستخدم في الدراسات وفي تقييم جذور العمل الاجتماعي ضمن تاريخ الأفكار. وهنا تطرح عدد من الأسئلة: هل توجد تقاليد فكرية وعملية يمكن للعمل الاجتماعي أن يستند إليها؟ وهل يمكن ربط بعض المفكرين بهذه التقاليد؟ وبعبارة أخرى، هل توجد «كلاسيكيات» يمكن للعمل الاجتماعي، كتخصص علمي وكمارسة عملية، أن يركز عليها؟ وما مدى مشروعية هذا الادعاء؟ وما هي تقاليد الفكر والفعل التي يمكن نسبها إلى العمل الاجتماعي؟ وما نوع الإشكالات التي تطرح أثناء التمييز بين العمل الاجتماعي في علاقته بالتخصصات الأخرى؟

يهدف هذا المقال إلى تطوير إطار نظري مرجعي لدراسة وتقييم جذور العمل الاجتماعي في سياق تاريخ الأفكار. ويمكن أن تكون الحاجة الإنسانية والنزعة الفطرية لمساعدة الآخرين إحدى نقاط الانطلاق الممكنة لمثل هذه الدراسات. غير أن اعتماد نقطة الانطلاق هذه قد يؤدي إلى التركيز على العمل الاجتماعي كممارسة عملية، مع الميل أكثر إلى تهيمش بعده العلمي. أما نقطة الانطلاق الأخرى، والتي يعتمدها هذا المقال، فتتمثل في البحث عن جذور العمل الاجتماعي في تقاليد الفكر والممارسة العلميين.

يُعد ترسيخ العمل الاجتماعي في الفكر والممارسة العلميين ضروريًا، نظرًا لأن الغاية العليا لهذا التخصص هي مساعدة الأشخاص ذوي الحاجة. ولذلك ينبغي ربط كل الجهود الرامية إلى تحسين الظروف المعيشية للإنسان بالتحليل العلمي وفي سياق تاريخي محدد. وتستند هذه المهمة من منظور تاريخ الأفكار، إلى ظاهرتين أساسيتين: الأولى هي بروز التحليل العلمي للمجتمع في القرن الثامن عشر الميلادي، والثانية هي توظيف هذا التحليل وتطوير أدوات التنبؤ بوصفها وسائل للتغيير الاجتماعي.

يُحيلنا توضيح كيفية ترسيخ العمل الاجتماعي كممارسة ضمن تقليد علمي اجتماعي، إلى أعمال بيورن إريكسون (Eriksson, 1988)، عالم الاجتماع في جامعة أوبسالا، الذي درس نشأة العلوم الاجتماعية. يمكن العثور على الجذور العلمية للعمل الاجتماعي في سياق ظهور العلوم الاجتماعية، وفي كتابات المنظرين الأوائل للتحليل العلمي للمجتمع عبر تتبع فكرة التقدم البشري، وهي فكرة ذات أهمية محورية للعمل الاجتماعي بوصفه ممارسة وتخصصًا علميًا.

يمكننا القول وانطلاقًا من هذه الخلفية التحليلية، أن العمل الاجتماعي يتكون من ثلاثة عناصر: (1) نشاط مهني أو ممارسة عملية، (2) تخصص للتقييم، (3) تقليد بحثي. تكشف دراسة تقاليد الفكر والفعل التي تحلل المجتمع وتطورات الفعل الاجتماعي، والتي تستند بالاساس إلى فكرة التقدم البشري والنزعة الإنسانية لمساعدة الآخرين، عن اتجاهين تاريخيين يمكن النظر إليهما بوصفهما نماذج مثالية: الأول؛ ينتقل من النظرية إلى الممارسة، والثاني؛ من الممارسة إلى النظرية.

يهدف العمل الاجتماعي باعتباره وكيلاً للتغيير الاجتماعي، إلى تغيير ما يُنظر إليه عادة على أنه غير مرغوب فيه أو بمثابة مشكلة اجتماعية. ومن ثمّ فسؤال "أصل المشكلات الاجتماعية" يُعد مسألة مركزية في تقاليد الفكر والفعل: هل الفرد أم المجتمع هو أصل المشكلات الاجتماعية؟ وبعبارة أخرى، هل الفرد أم المجتمع هو الذي ينتج هذه المشكلات؟ يطرح ترسيخ العمل الاجتماعي في سياق نشأة وتطور العلوم الاجتماعية، سؤال حدود هذا التخصص في علاقته بالتخصصات الأخرى. يتناول هذا المقال تحديداً العلاقة بين العمل الاجتماعي وعلم الاجتماع، حيث يلتقي هذان التخصصان في اهتمامهما المشترك بدراسة المشكلات الاجتماعية وبالتغيير الاجتماعي والفعل الاجتماعي. يقدم المقال إطاراً نظرياً مرجعياً ناتجاً عن تقاطع متغيرين: (1) العلاقة بين النظرية والممارسة بوصفها أنماطاً تاريخية مثالية، (2) أنواع التفسيرات لأسباب المشكلات الاجتماعية.

ويمكن استخدام الإطار النظري المرجعي المطور في هذه الدراسة:

- لإحداث تصنيف للمفكرين الكلاسيكيين وأعوان الفعل الاجتماعي بهدف إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهم، ولدراسة تاريخ الأفكار المؤدي إلى التفكير الحديث في العمل الاجتماعي.
- ولتبرير الادعاء بأن بعض الكلاسيكيين يمكن قبولها بوصفها كلاسيكيات للعمل الاجتماعي.

إنسان مستعد للمساعدة²

اهتم هارولد سويدنر Harold Swedner (وهو أول من شغل كرسي العمل الاجتماعي في السويد) على نحو خاص بالأسئلة المتعلقة بتاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي. فالمعرفة والرؤى المرتبطة بالجذور التاريخية لأفكار أي تخصص تُعدّ ضرورية، لأسباب خارج-علمية (وخاصة الحاجة إلى الشرعية)، وكذلك لأسباب بين-علمية (ولا سيما النظرية والمنهجية). وقد اختار سويدنر منهجية استقرائية في عمله، حاول من خلالها بناء شجرة للأفكار ونوع من التصنيف يضم عدداً كبيراً من المفكرين والممارسين. يستخدم سويدنر مفهومين أساسيين في نظريات العلم والمعرفة، هما: "النزعة المثالية" و"النزعة التجريبية"، وقد تم تصنيف المفكرين الذين ذكروهم وفقاً لهذين المفهومين. ومع ذلك، يلاحظ وجود افتقاد تام لمناقشة كيفية ارتباط هذين المفهومين ببعضهما البعض، وكيف يُفترض أن يشكلاً كلاً منطقياً أو تجريبياً متماسكاً. وبذلك يستخدم سويدنر عدة أبعاد تحليلية: النزعة المثالية والنزعة التجريبية، والتمرد والإصلاح، إضافة إلى بُعد اليمين-اليسار (بالمعنى المستخدم في التحليل السياسي). ولا ينتج هذا التصنيف فقط عن الانقسام بين التغيير الاجتماعي الموجّه من القاعدة في مقابل التغيير الموجّه من طرف الحكومة، بل أيضاً عن التمييز بين "تفكير الفاعل" و"تفكير المتفرج"³. وهذه الثنائيات يستخدمها سويدنر للإشارة إلى موقفين مستقطبين داخل العمل الاجتماعي.

يميز سويدنر بين ثمانية أشكال مختلفة من تفكير الفاعل، وهي بالأساس تقاليد في العمل الاجتماعي تطورت خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، وتشمل: الفعل السياسي، والتعليم المجتمعي، والعمل المجتمعي، والفعل البحثي، والعمل الاجتماعي الخيري، وعمل التقييم، والتنمية المجتمعية، وعمل الإصلاح. أما التقاليد التي تنسجم مع تفكير المتفرج، فتشمل التفسيرات، والتحليل النقدي، والمنطق التحليلي الإمبريقي واللغوي.

ضمّت شجرة الأفكار 64 مفكرًا وممارسًا، غير أن عدد الأشخاص الذين يمكن إدراجهم قد يكون أكبر بكثير، وهو ما يعترف به سويدنر نفسه (Swedner, 1983, p. 162) بقوله: «لم أتمكن بعد من تضمين الكثير من المتحدثين المثيرين للاهتمام في الخطاطة». وقد ذكر كل من؛ لينين، وفيتغنشتاين، وبارسونز، وهابرماس، وسارتر، وفيرايند، بوصفهم مفكرين غطّت أعمالهم طيفًا واسعًا من المقاربات النظرية.

علاوة على ذلك، يشير سويدنر إلى أنه لم يدرج في هذه الخطاطة «طرق التفكير» و«المتحدثين» الذين انشغلوا أساسًا بالتغير الاجتماعي على مستوى الأفراد والمجموعات، مثل: التحليل النفسي، والدراما الاجتماعية، والديناميات الاجتماعية، والعلاج الأسري، ودراسة الحالة، والعلاج الشبكي. هذا الأمر صحيح لكن جزئيًا فقط، فقد أولى سويدنر بالعكس اهتمامًا بماري ريتشموند⁴، وهي مفكرة وممارسة يُنظر إليها بقوة بوصفها ممثلة للعمل الاجتماعي على مستوى الفرد والمجموعة.

ومن أقدم المفكرين الذين ضمّهم سويدنر إلى شجرة أفكار العمل الاجتماعي هذه؛ نيكولاس كوبرنيكوس (1473)، غير أن البناء الذي يقترحه يوجي بإمكانية تمديد هذه الشجرة زمنيًا إلى فترات أبعد وأقدم من ذلك. وقد تجلّى هذا في أعماله اللاحقة (1985، 1987) خصوصًا المتعلقة منها بمصر الفرعونية، والصين القديمة، واليونان القديمة.

تتمثل إحدى النتائج المهمة جدًا لتصنيف سويدنر في؛ أن الجذور التاريخية للعمل الاجتماعي تمتد إلى الوراء كلما قام المؤرخون وعلماء الآثار وغيرهم من العلماء بتوسيع فهمهم التاريخي، وإظهار أن الكائن الإنساني — بقدر ما يمكننا تتبعه — هو «إنسان مستعد للمساعدة»؛ أي أنه كائن مهيباً لمساعدة الآخرين. وقد تتيح لنا مقارنة سويدنر هذه للجذور التاريخية للعمل الاجتماعي منظورًا لفهم نزعة الإنسان إلى المساعدة المتبادلة وإلى الأنسنة. غير أنه لا يقدر وللأسف، توجّهًا كافيًا لفهم الجذور التاريخية للعمل الاجتماعي بوصفه تخصصًا علميًا وممارسة مهنية.

أطروحتي هنا هي أن وصف وتحليل الخلفية الفكرية التاريخية للعمل الاجتماعي، كتخصص علمي وكممارسة مهنية، يجب أن يكونا راسخين في نشأة العلوم الاجتماعية.

نشأة العلوم الاجتماعية

أحيل في هذا القسم إلى كتاب «نشأة العلوم الاجتماعية المفسّرة من منظور سوسيولوجي» لإريكسون (1988). وسأبيّن من خلال هذه المقاربة، أن البحث عن جذور العمل الاجتماعي بوصفه تخصصًا وممارسة علميين يجب أن ينطلق مبدئيًا من التحليل العلمي للمجتمع خلال القرن الثامن عشر، وكذلك من جهود مفكري القرن التاسع عشر في توظيف التحليل العلمي والتنبؤات العلمية من أجل تحسين الظروف المعيشية والقضاء على المشكلات الاجتماعية.

ينطلق اهتمام إريكسون من منظور سوسيولوجي، ويتمحور حول التحليل العلمي للمجتمع. ويعني ذلك أن هذين المفهومين متشابكان؛ أي وبعبارة أخرى، أن نشأة التحليل السوسيولوجي تتزامن مع نشأة العلوم الاجتماعية. فقد تطورت العلوم الاجتماعية الحديثة من خلال التحليل السوسيولوجي للمجتمع، وأصبح هذا التحليل أساس الفهم العلمي للديناميكيات المجتمعية، والقوى الدافعة، والتفاعلات بين المكونات المختلفة، وآليات إنتاج المشكلات الاجتماعية، وغير ذلك.

يتجاوز التحليل السوسيولوجي على هذا النحو، حدوده الخاصة لينتج مفاهيم وأدوات تستفيد منها تخصصات أخرى تتمايز تدريجيًا في إطار عملية التخصص داخل العلوم الاجتماعية. ويُعدّ العمل الاجتماعي أحد هذه التخصصات التي تطورت

تدرجيًا؛ إذ شكّلت علمنة دراسة المجتمع خلال القرن الثامن عشر أساسًا وشرطًا أوليًا لظهور العمل الاجتماعي كممارسة وتخصص علميين. غير أن الارتباط الملموس والحاسم بالتحليل العلمي يتجلى من خلال الظاهرة التي يسميها إريكسون «علم الاجتماع بوصفه نشاطًا وكيلاً»⁵

من الاعتقادات الشائعة (Aron, 1981; Zeitlin, 1968) أن نشأة التحليل العلمي للمجتمع تعود إلى عصر التنوير، وأن الفلاسفة الفرنسيين في تلك المرحلة لعبوا دورًا مركزيًا في هذه العملية. وأصالة عمل إريكسون تكمن في إظهاره أن التحليل العلمي أو السوسيولوجي للمجتمع خضع لتحول جذري في أعمال المدرسة الاسكتلندية⁶، مع آدم سميث، وأدم فيرغسون، وجون ميلار بوصفهم مفكرين محوريين.

ويمكن القول باختصار، إن فلاسفة المدرسة الاسكتلندية هم من وضعوا الأسس الأولى للعلوم الاجتماعية الحديثة. فقد قدموا تحليلات تاريخية وشرحوا آليات التغيير الاجتماعي، وبذلك أسسوا لفكرة التغيير الاجتماعي القائم على التحليل العلمي. غير أنهم لم يتعاملوا مع مسألة التنبؤ بالتغيرات المستقبلية في المجتمع. لذلك كان على التحليل العلمي أن ينتظر قرنًا آخر قبل أن يتمكن أخيرًا من ربط نظريات المجتمع بفعل التغيير الاجتماعي.

وقد ترسخت نظريات القرن التاسع عشر في التحليل العلمي للقرن الثامن عشر، وطورت الفرضية القائلة بضرورة حل المشكلات الاجتماعية عبر النماذج والنظريات العلمية. وبهذا المعنى، تمثل تطورات القرن التاسع عشر مرحلة محورية في تاريخ العمل الاجتماعي.

قانون التقدم⁷

إذا اعتبرنا أن غاية العمل الاجتماعي كممارسة هي حل المشكلات الاجتماعية، فإن «قانون التقدم» الذي ناقشه آدم سميث وأدم فيرغسون يبرز بوصفه عنصرًا مركزيًا. فقد جرى تأسيس هذا القانون في الطبيعة البشرية، انطلاقًا من افتراض أن البشر يسعون تلقائيًا إلى تحسين ظروفهم المعيشية والمجتمعية. ومن هذا الافتراض الأساسي، يصبح من السهل القول إن للعمل الاجتماعي جذورًا في قابلية الإنسان الفطرية للمؤانسة.

تُصاغ هذه الفكرة في كتابات المدرسة الاسكتلندية، تحت مفهوم «تحسين الظروف»، أي الانتقال من أوضاع سيئة إلى أوضاع أفضل. ويُعزّز هذا التصور بافتراض أساسي ثانٍ حول الطبيعة البشرية تتبناه المدرسة الاسكتلندية، أطلق عليه آدم سميث اسم «التعاطف». ويشير هذا المفهوم إلى ظاهرة تقابل ما يُعرف في العمل الاجتماعي الحديث بمفاهيم التعاطف أو تبني منظور الآخر. ويُعد هذا الافتراض أساسًا لجميع أشكال العمل الاجتماعي.

شهدت أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، اضطرابات اجتماعية واسعة النطاق. فالثورة الفرنسية قد أثرت في المشهد السياسي الأوروبي بأكمله، وبرزت حاجة ملحة إلى التغيير الاجتماعي، كما ظهرت عدة مراكز قوة عملت من أجل هذا التغيير. وكان تحليل التغيير الاجتماعي، حتى ذلك الحين، يخلو من أي بعد تنبؤي بشأن التحولات المستقبلية في المجتمع، كما هو الحال في المدرسة الاسكتلندية، وهو ما أصبح غير كافٍ في سياق تطور العلوم الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر. فإذا أمكن تحليل التغيير الاجتماعي تاريخيًا، فإنه يمكن - بل ينبغي - التنبؤ بالمستقبل، بهدف تطوير مجتمع

يعمل بشكل أفضل لصالح البشر. ويتطلب ذلك بناء فلسفة للتاريخ توفر أساسًا أخلاقيًا للتغيير الاجتماعي. وقد كان السؤال المطروح آنذاك هو: كيف يمكن التعامل مع الفوضى التي تسود في المجتمع؟ وكيف يمكن «شفاء ومعالجة» المجتمع المريض؟ شكّل هذا التحول في المواقف تجاه الدور المركزي للعلم الاجتماعي في المجتمع سمة أساسية من سمات الفكر في القرن التاسع عشر. ويمكن الإشارة هنا إلى عدد من المفكرين الذين جسّدوا هذا التوجه داخل العلوم الاجتماعية، ومن بينهم؛ هنري دي سان-سيمون، وأوغست كونت، وكارل ماركس، الذين كانوا محورين في هذا التطور. ويُعد هؤلاء وغيرهم من مفكري تاريخ الأفكار، قبل كل شيء، كلاسيكيات مركزية في علم الاجتماع. وأطروحتي هي أن هذا التطور في تاريخ الأفكار يمكن إرجاعه أيضًا إلى العمل الاجتماعي.

ما العمل الاجتماعي؟

ما هو العمل الاجتماعي؟ غالبًا ما يُطرح هذا السؤال من قبل الباحثين في العمل الاجتماعي، وكذلك من قبل الممارسين أنفسهم. ومن أجل استكشاف ما قد يعنيه العمل الاجتماعي، سأقوم هنا بالتمييز بين ثلاثة مفاهيم مستقلة لكنها جد مترابطة. وأرى أنه من الضروري التمييز تحليليًا على الأقل بين؛ العمل الاجتماعي بوصفه نشاطًا ممارسًا (أي مهنة)، وبوصفه تخصصًا أكاديميًا، وبوصفه تقليدًا بحثيًا.

يقدم لنا هانز بيرغليند (Berglind) (1988) في السويد، تمييزًا مشابهاً، يستخدم فيه مفاهيم مثل «الموضوع الأكاديمي» و«مجال البحث». لكن بدلاً من تطوير هذا التمييز، ركّز بيرغليند نقاشه على مجال البحث في العمل الاجتماعي، والذي يتضمن أيضًا مفهوم المشكلة الاجتماعية.

يتم التمييز في معظم الأدبيات، بين العمل الاجتماعي كنشاط ممارس، وك تخصص أكاديمي، وك تقليد بحثي (Lindholm & Askeland, 1988; Berglind, 1981). وتُستخدم مفاهيم أخرى بدل «الموضوع الأكاديمي»، مثل «مجال البحث»، و«تخصص للبحث»، و«تخصص أكاديمي»، وغيرها. ويشير العمل الاجتماعي في الأدبيات عادةً بوصفه موضوعًا أكاديميًا إلى تقليد بحثي، بالإضافة إلى كونه تخصصًا يمنح شهادات جامعية. لكن ثمة طريقة أخرى لمقاربة هذا السؤال، تتمثل في؛ التمييز بين العمل الاجتماعي بوصفه معرفة تطبيقية، والعمل الاجتماعي بوصفه معرفة نظرية ذات توجه عملي، والعمل الاجتماعي بوصفه معرفة نظرية خالصة. وقد ظهرت محاولات عدة للإجابة عن هذا السؤال من خلال التفريق بين أنواع مختلفة من المعرفة التي تميّز عناصر العمل الاجتماعي. وهذا التمييز يتوافق بين أشكال المعرفة مع الفهم المزدوج للعمل الاجتماعي بوصفه نشاطًا تطبيقيًا وتخصصًا أكاديميًا، حيث يقترن هذا الأخير بأنواع مختلفة من المعرفة النظرية. ويناقش القسم التالي المكونات الثلاثة التي تُشكّل، في رأيي، العمل الاجتماعي.

العمل الاجتماعي كنشاط ممارس

يهدف العمل الاجتماعي كنشاط ممارس، أو كمجال للممارسة العملية، إلى مساعدة الأشخاص المتأثرين بالمشكلات الاجتماعية. وأستخدم هنا التعريف التالي للمشكلة الاجتماعية: «وضعٌ مزعوم يتعارض مع قيم عدد كبير من الأشخاص الذين يتفقون على أن الفعل ضروري لتغيير هذا الوضع» (Rubington & Weinberg, 1971, p.6). وبما أن هذا المفهوم لا يشمل العمل الاجتماعي الوقائي على مستوى الفرد أو المجموعة، أو العمل المجتمعي، فإنه يظل توصيفًا محدودًا للعمل الاجتماعي.

غير أن الأدبيات التقليدية في العمل الاجتماعي تزخر بهذا النوع من التعاريف (Richmond, 1922; de Schweinitz, 1924; Lowry, 1937; Gartland, 1940; Wilsnack, 1946; Bowers, 1949; Boehm, 1958; Hollis, 1964; Perlman, 1965).

ظهرت خلال ستينيات القرن العشرين طريقة جديدة لفهم العمل الاجتماعي، حيث بدأ المفكرون ينظرون إليه بوصفه تواصلًا ثنائي الاتجاه بدلاً من كونه تواصلًا أحادي الاتجاه، وهو ما أضعف - أو ألغى إلى حد ما - المفهوم السابق للزبون بوصفه «شيئًا». وأصبح التفاعل بين الزبون⁸ والعامل الاجتماعي يحظى بقدر أكبر من الاهتمام. ويجسد هذا الفهم التعريف الذي قدمه جيتزمان وجيرمين (1976, p. 602-603): يركّز العاملون الاجتماعيون على مشكلات العيش التي تقع في ثلاثة مجالات:

- المشكلات والاحتياجات المرتبطة بالمهام التي تنطوي عليها انتقالات الحياة؛
- المشكلات والاحتياجات المرتبطة باستخدام عناصر البيئة والتأثير فيها؛
- المشكلات والاحتياجات المرتبطة بالعقبات الشخصية التي تعيق أداء الأسرة أو المجموعة أثناء تعاملها مع المهام الانتقالية أو البيئية أو كليهما.

وقد طوّر جيرمين وجيتزمان هذا التعريف في عمل لاحق بعنوان «نموذج الحياة في ممارسة العمل الاجتماعي» (1980). وقد تم إدخال خلال ثمانينيات القرن العشرين، مفهوم العمل النفسي-الاجتماعي إلى السويد (Hessle, 1982; Lennéer-Axelsson & Thylefors, 1982; Bernler & Johnsson, 1985; Bernler & Johnsson, 1988). طالب هذا الاتجاه بالاعتراف به كمجال نشاط مستقل، لا سيما عند مقارنته بالعلاج النفسي الذي كان قد ترسخ بالفعل كنشاط مهني معترف به دوليًا. وتُظهر مجموعة التعاريف المعروضة هنا أن العمل الاجتماعي كان، ولا يزال، موجّهًا أساسًا نحو مستويات الفرد والأسرة والمجموعة، وهو تقليد قوي هيمن طويلاً على تصور العمل الاجتماعي. وفي العصر الحديث، تم إدخال نوعين آخرين من العمل الاجتماعي: الإدارة الاجتماعية والتخطيط الاجتماعي، وكذلك العمل المجتمعي والتنمية المجتمعية (Swedner, 1983).

العمل الاجتماعي كتخصص أكاديمي

يجب أن يكون العمل الاجتماعي كتخصص أكاديمي مرتبطًا بسياسات التعليم العالي في البلد المعني، والتي تحدد الموضوعات بوصفها تخصصات أكاديمية. ويتعلق الأمر هنا غالبًا بتعريف رسمي يتم من خلاله تحديد موضوع ما، وهي حدود لا تتطابق بالضرورة مع الحدود المفاهيمية للتخصصات. قدّم أحدث تعريف للتخصص في السويد إبان إنشاء كرسي العمل الاجتماعي في جامعة لوند، وجاء بصيغة مفادها أن الأستاذية في العمل الاجتماعي تُوجّه نحو التدريس والبحث في أسباب وطرق حل المشكلات الاجتماعية وسبل الوقاية منها، على مستويات مختلفة في المجتمع، وأنه ينبغي تنظيم البحث في هذا المجال بطريقة تتيح تحويل نتائجه إلى ممارسة اجتماعية تطبيقية. تم تقديم العمل الاجتماعي كتخصص أكاديمي في وقت متأخر نسبيًا في السويد؛ إذ لم يصبح موضوعًا أكاديميًا في برامج تدريس وتدريب العمل الاجتماعي إلا عام 1977، ثم أنشئ بعد ذلك أول منصب أستاذية، تلاه إنشاء عدد محدود من المناصب المماثلة في جامعات أخرى.

تعتمد نشأة أي تخصص أكاديمي على الظروف التاريخية الخاصة بكل بلد، ويمكن فهم هذه النشأة من منظور داخلي للعلم ومن منظور خارجي له. تشمل العوامل الداخل-علمية التطور النظري والمهني الداخلي الذي يوسّع الحدود القائمة، ويسمح بولادة تخصصات جديدة مستقلة. وفي هذا السياق، تتشابه التخصصات الأكاديمية مع تقاليد البحث. أما العوامل الخارج-

علمية فهي تلك التي تفرض نشأة التخصص الأكاديمي. وقد وصف عدد من المؤلفين العوامل الخارج-علمية الكامنة وراء تطور العمل الاجتماعي كتخصص أكاديمي في السويد وناقشوها (Swedner, 1987; Brante, 1987; Eliasson, 1987). وقد كان لهذه العوامل دور حاسم في مأسسة العمل الاجتماعي كتخصص أكاديمي، في حين لم تكن العوامل الداخل-علمية وحدها كافية لتحقيق ذلك (Brante, 1987).

العمل الاجتماعي كتقليد بحثي

يصبح البحث في العمل الاجتماعي تقليدًا بحثيًا مقيّدًا إذا اقتصر المرء على تعريف الأستاذية وحدها، إذ يُضطر الباحث عندئذٍ إلى دراسة ما ينبغي دراسته بدلًا مما يُدرّس فعليًا. وفي تعليقه على تعريف الأستاذية في ستوكهولم، كتب برانت (Brante, 1987, p. 39):

يؤكد الوصف بقوة على وزن التطبيق العملي، لكنه في الوقت نفسه يترك المجال مفتوحًا لتفسيرات متعددة حول المحتوى الصحيح للتخصص. ما هو هدف المعرفة؟ كيف يميّز التخصص نفسه عن علم الاجتماع؟ كيف يميّز نفسه عن الممارسة السياسية؟ وربما الأهم من ذلك كله: ما هو العمل الاجتماعي؟ (Brante, 1987).

يثير برانت هنا أسئلة مركزية تتعلق بالعمل الاجتماعي كتقليد بحثي، وهي أسئلة تُعد وستعد قضايا أساسية في نظرية العلم والمعرفة المرتبطة بالعمل الاجتماعي. وليس من المستغرب أن يمتلك الأساتذة الأربعة الذين أجرى معهم برانت مقابلات تصورات مختلفة حول جوهر وحدود العمل الاجتماعي كتخصص أكاديمي وتقليد بحثي، إذ ظلت هذه القضايا، رغم مركزيتها، دون حسم نهائي. ويمثل ترسيم الحدود هنا بين العمل الاجتماعي وباقي التخصصات الأخرى - ولا سيما علم الاجتماع وعلم النفس، وكذلك السياسات الاجتماعية ودولة الرفاه - إشكالية خاصة ومقلقة.

أطروحتي هنا هي تبيان أن أكثر الطرق علميةً وخصوصيةً للتعامل مع هذه القضايا المركزية تتمثل أساسًا في دراسة المفكرين والممارسين وباقي حركات وتقاليد الفكر في سياق تاريخ الأفكار التي يمكن للعمل الاجتماعي أن ينتسب إليه. فهل يُعد ماكس فيبر كلاسيكيًا لعلم الاجتماع أم للعلوم السياسية؟ وهل يُعد آدم سميث كلاسيكيًا للاقتصاد أم للبيولوجيا أم لكليهما؟ ويمكن طرح من منظور العمل الاجتماعي، أسئلة مماثلة: ما هي كلاسيكيات العمل الاجتماعي؟ وهل للعمل الاجتماعي كلاسيكياته الخاصة؟ وهل يمكنه أن يطالب بكلاسيكيات تُنسب تقليديًا إلى تخصصات أخرى؟ وهل يمكن، على سبيل المثال، اعتبار سان-سيمون وكارل ماركس كلاسيكيين للعمل الاجتماعي أم لعلم الاجتماع؟ وهل يحق للعمل الاجتماعي المطالبة بهذه الكلاسيكيات؟

من النظرية إلى الممارسة: البحث من أجل التغيير الاجتماعي

يمكن التمييز في تاريخ الأفكار في مجال العمل الاجتماعي بين اتجاهين رئيسيين؛ أسميهم: (1) من النظرية إلى الممارسة و (2) من الممارسة إلى النظرية. يقصد بالاتجاه الأول أن نتائج البحث والمعرفة النظرية تشكل الأساس الذي تُبنى عليه الممارسة الاجتماعية، بغض النظر عمّا إذا كان هذا البحث نابعًا من أولويات مهنية أو سياسية اجتماعية فعلية، أو من تساؤلات نظرية بحتة (داخل-علمية). أما الاتجاه الثاني، أي من الممارسة إلى النظرية، فيعني أن الممارسة الاجتماعية تُعدّ نقطة الانطلاق لكل تفكير نظري، وأنها هي التي تفرض الحاجة إلى إنتاج المعرفة النظرية والبحث عنها. فالممارسة العملية في هذا السياق، هي المصدر الأساسي للمعرفة النظرية.

نجد إذا ما نظرنا إلى تاريخ الأفكار في القرن التاسع عشر، أن هذين الاتجاهين - على الرغم من اختلافهما - قد تزامنا وتداخلا في كثير من الأحيان. ويرجع ذلك إلى أن التقاليد الفكرية التي نشأت أساساً من الممارسة، وسعت لاحقاً إلى بناء أساس نظري لها، قد تأثرت في الوقت نفسه بالأعمال النظرية لتقاليد فكرية أخرى. ولا تزال الكيفية التي تشابكت بها هذه الاتجاهات، والطريقة التي ظهرت بها في تاريخ الأفكار، موضوعاً تجريبياً يحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل.

يمكن دراسة فكرة الانتقال من النظرية إلى الممارسة في العمل الاجتماعي وفي سياسات التغيير الاجتماعي من منظورين: منظور ضيق وآخر واسع. يشير المنظور الضيق إلى الأبحاث التي تهدف بشكل مباشر إلى إحداث تغيير اجتماعي. أما المنظور الواسع، فيتعلق بتحليل المجتمع ونظرياته، وهي التحليلات التي تعتمد عليها فئات فاعلة في المجتمع من أجل إحداث التغيير الاجتماعي.

يستعرض زيمباليست (Zimbalist, 1977) في كتابه «الموضوعات والمعالم التاريخية في أبحاث الرعاية الاجتماعية»، نمطاً من الأبحاث التي يمكن تصنيفها ضمن ما يُسمّى بـ: البحث من أجل التغيير الاجتماعي. وقد تناول في دراسته هذه تطور البحث في مجال العمل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة الممتدة من سنة 1870 إلى منتصف ستينيات القرن العشرين.

وُعدَّ عام 1870 نقطة انطلاق أساسية في هذا السياق، إذ شهد بداية تشكّل العمل الاجتماعي المنظم من خلال تأسيس المؤتمر الوطني للجمعيات الخيرية والإصلاحية (National Conference on Charities and Corrections). كما أشار زيمباليست إلى عدد من الدراسات المرجعية الصادرة في سبعينيات القرن العشرين، غير أنه حدّد نطاق تحليله الأساسي في منتصف ستينيات القرن الماضي، نظراً لتركيزه على الموضوعات البحثية طويلة المدى والمعالم الفكرية الكبرى التي لا يمكن فهمها إلا في إطار زمني تاريخي ممتد.

يحدد زيمباليست ستة محاور رئيسية شكّلت جوهر البحث المرتبط بالتغيير الاجتماعي في الولايات المتحدة خلال تلك الفترة. وتُظهر هذه المحاور حضوراً واضحاً لها أيضاً في السياق الأوروبي، إذ أن جزءاً من الدراسات التي تناولها يعود في أصوله إلى التقاليد البحثية البريطانية. كما شهدت السويد، خلال العقدين الأخيرين تقريباً، تطوراً ملحوظاً في الدراسات المتعلقة بظروف المعيشة، وهي دراسات تندرج في إطار تحليل الفقر، وقياسه، وتصنيفه كمياً في مجال العمل الاجتماعي.

وبوجه عام، يمكن النظر إلى هذا الاتجاه البحثي من زاويتين مترابطتين: الأولى تركز على دراسة انتشار الفقر ومؤثراته، والثانية تهتم بتحليل آليات توزيع الرفاه الاجتماعي. ويعتمد اختيار أي من هذين المنظورين أساساً على الإطار النظري المعتمد في التحليل. عاد البحث التقييمي مجدداً مع تفاقم الأزمة الاقتصادية التي عرفتها دولة الرفاه، ليحتل موقعاً مركزياً ضمن الأجندة البحثية، بوصفه أداة لتحليل فعالية السياسات الاجتماعية وجدواها. ومع ذلك، يبيّن زيمباليست أنه - رغم تعدد هذه المقاربات البحثية، وحتى عند الاستناد إلى المعايير التي اقترحها - لا تزال إشكالية الفصل بين البحث في العمل الاجتماعي والبحث في الرعاية الاجتماعية قائمة دون أي حسم نهائي.

من النظرية إلى الممارسة - الفعل الاجتماعي بوصفه نشاطاً فاعلاً

تمت الإشارة في قسم سابق إلى الاستمرارية القائمة في تاريخ الأفكار بين نظرية التاريخ لدى المدرسة الاسكتلندية وفلسفات التغيير الاجتماعي التي برزت خلال القرن التاسع عشر. وقد انطلقت هذه الفلسفات من فرضية أساسية مفادها أن المجتمع يعيش حالة من "المرض" أو "الاختلال"، وأن علاجه لا يمكن أن يتم إلا من خلال المعرفة العلمية المنظمة. ظهرت خلال القرن التاسع عشر، مجموعة من الحركات الفكرية والاجتماعية التي سعت إلى إحداث تغيير اجتماعي وسعت إلى تحسين أوضاع المجتمع بالاعتماد على المعرفة العلمية. ومن أبرز هذه الحركات: السان-سيمونية في فرنسا، وجمعية فابيان في إنجلترا، ورابطة السياسة الاجتماعية (Verein für Sozialpolitik) في ألمانيا. ورغم أهمية هذه التيارات، إلا أن العلاقة بينها وبين تطور العمل الاجتماعي لم تحظ بدراسة تحليلية معمقة (Frängsmyr, 1980; Hirdman, 1989).

وتحتل الحركة الماركسية، ولا سيما من خلال ما يسمى بالأمميات، موقعًا خاصًا في هذا السياق، نظرًا لطابعها الشمولي في الربط بين النظرية والتغيير الاجتماعي. كما يُعدّ شارل فوربيه⁹ مثالًا واضحًا للمفكر الذي لم يكتفِ فقط بالتنظير، بل حاول ترجمة فلسفته التاريخية إلى ممارسة عملية من خلال مشاريع إصلاحية هدفت إلى إعادة تنظيم المجتمع. ويمكن تلخيص أعمال هؤلاء المفكرين ضمن ما يمكن تسميته بـ «علم الاجتماع بوصفه نشاطًا فاعلاً» (Sociology as Agent Activity).

يمكن القول وبصيغة مبسطة، أن هذا النمط من علم الاجتماع يظهر عندما تسعى مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين، استنادًا إلى نظرية حول تطور المجتمع، إلى تسريع عملية التغيير الاجتماعي في اتجاه معين يُنظر إليه بوصفه مرغوبًا أو أكثر عدالة. ويعني ذلك أن علم الاجتماع، بوصفه نشاطًا فاعلاً، يقوم على ثلاثة عناصر مترابطة وإن كانت مستقلة من حيث الوظيفة: (1) نظرية في المجتمع والتاريخ تفسر الواقع الاجتماعي وتحدد مسارات تطوره؛ (2) برنامج أو مشروع للتغيير الاجتماعي يهدف إلى الانتقال من وضع اجتماعي يُنظر إليه باعتباره سلبيًا إلى وضع أفضل في المستقبل؛ (3) جماعة فاعلة تتولى تنفيذ هذا المشروع وتسعى إلى تجسيده في الواقع العملي. (Eriksson, 1988, p. 405).

فيما يتعلق بالمصطلحات المعتمدة في هذه الدراسة، فإن مفهوم علم الاجتماع بوصفه نشاطًا فاعلاً يتطابق مع الاتجاه الذي ينتقل من النظرية إلى الممارسة. ويعني هذا الاتجاه أن البحث العلمي، وفلسفات التاريخ، والبناءات النظرية تشكل الأساس الذي تُبنى عليه برامج الممارسة الاجتماعية، أي مشاريع التغيير الاجتماعي. تتمحور إذن الإشكالية الأساسية هنا حول طبيعة العلاقة بين علم الاجتماع بوصفه نشاطًا فاعلاً، والعمل الاجتماعي بوصفه ممارسة تستهدف إحداث تغيير اجتماعي. يمكن القول من هذا المنطلق، إن هناك على الأقل نقطتي تقاطع رئيسيتين بين علم الاجتماع والعمل الاجتماعي: الأولى تتعلق بالمشكلات الاجتماعية، والثانية ترتبط بالتغيير الاجتماعي وممارساته.

يوضح روينغتون وفاينبرغ (Rubington & Weinberg, 1971) أن دراسة المشكلات الاجتماعية شكّلت محورًا أساسيًا في تطور علم الاجتماع في الولايات المتحدة. وقد تطور هذا الاهتمام - حسب رأيهما - بالتوازي مع المجال المركزي الثاني لعلم الاجتماع، وهو دراسة التفاعل الاجتماعي. غير أن هذا الانشغال بالمشكلات الاجتماعية لا يقتصر على علم الاجتماع الأمريكي وحده، بل يمتد أيضًا إلى التقاليد السوسيولوجية التي تركز على البنى الكبرى للمجتمع، كما هو الحال في علم الاجتماع الماركسي. وبالنسبة للعديد من علماء الاجتماع، لم تكن دراسة المشكلات الاجتماعية مجرد نشاط وصفي، بل كانت في الوقت نفسه شكلاً من أشكال الالتزام بالتغيير الاجتماعي. ففي حين اتجه علماء الاجتماع في الولايات المتحدة إلى ما عُرف بالهندسة

الاجتماعية الجزئية (piecemeal engineering)، انخرط نظراؤهم الماركسيون في أنشطة سياسية استهدفت إحداث تغييرات بنيوية شاملة في المجتمع.

تطور وفي مرحلة لاحقة، ما يُعرف بـ تقليد البحث الإجمالي (Action Research) بوصفه محاولة لدمج المعرفة السوسولوجية بالفعل الاجتماعي الهادف إلى التغيير. يشير بيرغليند (Berglind, 1988) في السياق السويدي، إلى العلاقة الوثيقة بين علم الاجتماع والعمل الاجتماعي من جهة، وبين تحليل المشكلات الاجتماعية من جهة أخرى، مبرراً طبيعة هذا التداخل وأبعاده النظرية والعملية. أما النقطة الثانية من التقاطع بين علم الاجتماع والعمل الاجتماعي، فتتعلق بعلاقتهما بالتغيير الاجتماعي والفعل الاجتماعي. تبدو العلاقة بالتغيير الاجتماعي من حيث تاريخ الأفكار، وكذلك من حيث التعريف النظري، أكثر إشكالية وجدلاً داخل علم الاجتماع مقارنةً بالعمل الاجتماعي، الذي يُعدّ التغيير الاجتماعي جزءاً جوهرياً من هويته ووظيفته المهنية.

تُعدّ مهمة الإسهام في التغيير الاجتماعي والعمل من أجله عنصراً بنيوياً مدمجاً في جوهر العمل الاجتماعي. وقد سبق أن بيّنا الأسس التي تسمح بدمج هذين المفهومين. يُنظر إلى العمل الاجتماعي في التصور التاريخي الذي ينطلق عادة من الممارسة إلى النظرية، بوصفه شكلاً من أشكال الفعل الاجتماعي، حيث تنبثق المعرفة أساساً من الممارسة ذاتها. وبهذا يصبح الفعل الاجتماعي في هذا الإطار جزءاً لا يتجزأ من العمل الاجتماعي. ويظهر هذا الترابط أيضاً عند تشكّل العمل الاجتماعي بوصفه تخصصاً أكاديمياً وبحثياً مستقلاً. فإثناء تحديد مضمون التخصص في إطار إنشاء الكراسي الجامعية، يتم دائماً إدماج البعد العملي وبشكل صريح. فعلى سبيل المثال، أثناء إنشاء كرسي العمل الاجتماعي في ستوكهولم، نُصّ على أن «يُنظّم البحث في مجال الأستاذية بطريقة تسمح بتحويل نتائجه إلى ممارسة اجتماعية تطبيقية». ويعكس هذا التصور بوضوح العلاقة العضوية بين المعرفة الأكاديمية والفعل الاجتماعي. وبغض النظر عن الاتجاه الذي ننطلق منه في تاريخ الأفكار، يتّضح أن إنتاج المعرفة والبحث العلمي يتميّزان دائماً بقرئتهما من الفعل الاجتماعي. فالفعل الاجتماعي يتضمن بطبيعته ممارسة العمل الاجتماعي، كما أن العمل الاجتماعي ذاته يفترض بالضرورة وجود بعد عملي وتطبيقي.

في المقابل، تبدو علاقة علم الاجتماع بالتغيير الاجتماعي وبالفعل الاجتماعي أكثر تعقيداً. إذ تختلف التقاليد السوسولوجية في اهتماماتها المعرفية وفي الأدوار التي تُسند إلى الباحث. فقد تبوّأ علم الاجتماع الوضعي تصوراً تقنياً-أدائياً للمعرفة، واعتبر أن وظيفة الباحث تقتصر أساساً على الوصف والتحليل الموضوعي للظواهر الاجتماعية. أما علم الاجتماع الماركسي، فقد بلور اهتماماً بمعرفة ذات طابع تحرّري وسياسي، ورأى أن دور الباحث لا يقتصر فقط على الفهم والتفسير، بل يتجاوز ذلك ويمتد ليشمل المشاركة الفعلية في التغيير الاجتماعي. وبذلك، يتبيّن أن الاختلاف بين علم الاجتماع والعمل الاجتماعي لا يكمن في موضوع الاهتمام فحسب، بل في طبيعة العلاقة التي يقيمها كل منهما مع الفعل الاجتماعي ومع مسألة التغيير، سواء أكان ذلك على مستوى النظرية أو الممارسة.

من الممارسة إلى النظرية

يُستَوى الإتجاه الآخر في دراسة جذور العمل الاجتماعي؛ من الممارسة إلى النظرية. ومن حيث التفكير في السيرورة، فالممارسة والعمل من أجل التغيير الاجتماعي يعدّان عنصرين أساسيين، وهما أساس توليد المعرفة. يبدو العمل الاجتماعي ضمن هذا الاتجاه، أساساً كنشاط ممارس يهدف إلى مساعدة الأشخاص الذين يعانون من مشكلات اجتماعية.

ذكرتُ سابقاً في هذا المقال أن إحدى طرق اكتشاف هذا الاتجاه تتمثل في البحث عن جذور العمل الاجتماعي في مؤانسة الناس وتفاعلهم في مساعدة بعضهم بعضاً. وقد جادلتُ بأن هذه الطريقة في تناول القضية لا تقدّم لنا توجيهاً كافياً لفهم العمل الاجتماعي كنشاط ممارس وكتخصص علمي. فالمؤانسة سمة أساسية للوجود الاجتماعي الإنساني كله. ويمكن مقارنة هذا المفهوم بمفهوم يوهان أسبلند (1987) حول «الاستجابة الاجتماعية»، والذي يتعلّق أساساً بميل الناس الفطري إلى الاستجابة عندما تُثار الأسئلة، وبعبارة أخرى: المؤانسة.

لقد أدرجتُ المؤانسة ضمن العمل الاجتماعي كنشاط ممارس وكتخصص أكاديمي. غير أنّ هذا المفهوم، من منظور الاتجاه من الممارسة إلى النظرية، يُنظر إليه على أنّ له جذوراً في تطوّر التصنيع القائم على الرأسمالية. فقد أدّى انتشار التصنيع في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، مقترناً بالتحصّر والبطالة وسكن الفقراء ومشكلات اجتماعية أخرى، إلى تحفيز أشخاص سعوا إلى معالجة ما فهموه بوصفه إشكالياً.

ويؤكّد التشخيص أحياناً أنّ المجتمع مريض، وبالتالي يجب القيام بشيء ما لمعالجة هذا المجتمع المريض. غير أنّ التشخيص يؤكّد في أحيان أخرى أنّ الفرد هو المريض، ما يعني أنّ استراتيجية التغيير الاجتماعي ينبغي أن تُوجّه نحو الفرد. وفي سياق الاتجاه من الممارسة إلى النظرية، تطوّر هذان التصوّران في صراع متبادل. وقد تطوّر العمل الاجتماعي كنشاط ممارس في أوروبا، ولا سيما في إنجلترا، وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حفّزت التطوّرات في أوروبا والولايات المتحدة بعضها بعضاً.

ظهرت الطبقات التابعة في الولايات المتحدة بعد الحرب الأهلية، وهم الفقراء، وذوو الإعاقات الذهنية، والمجرمون، الذين وُضعوا تحت إشراف إدارة الدولة. وأسندت رعاية هذه الفئات وضبطها تباعاً إلى مجالس الدولة المعنية بالأعمال الخيرية، والرعاية الذهنية، والسجون. وفي الوقت نفسه، بدأت المنظمات التطوعية ووكالات رعاية الأطفال في النمو داخل القطاع الخاص والمستقل.

تم تنظيم الأشخاص المنخرطين في الأعمال الخيرية العامة والخاصة في عام 1865، إلى جانب عدد من المثقفين، في إطار الجمعية الأمريكية للعلم الاجتماعي (ASSA)؛ غير أنّه سرعان ما اتّضح أنّ هاتين المجموعتين نظرنا إلى مصالحيهما بصورة مختلفة. فقد دافع المثقفون داخل الجمعية الأمريكية للعلم الاجتماعي عن أهمية وألوية تطوير وتوليد معرفة يمكن استخدامها في التغيير الاجتماعي، في حين كان الممارسون العاملون في رعاية وضبط الفئات المحرومة من المجتمع مهتمين بتطوير مناهج تدخلية فورية للضبط والرعاية.

وقد أصبح تضارب المصالح أكثر وضوحاً في عام 1874، حيث غادر الممارسون المنظمة وأسّسوا منظمة جديدة، سميت بـ "مؤتمر الجمعيات الخيرية"، والتي ستحمل منذ عام 1879 اسم "المؤتمر الوطني للجمعيات الخيرية والإصلاحات" (NCCC). وقد غيّرت هذه المنظمة اسمها بعد ذلك عدة مرات، وكانت تُعرف باسم المؤتمر الوطني للرعاية الاجتماعية عندما تم حلّها عام 1983.¹¹

يشير جيرمان وجيرمان (1980) إلى أنّ الصراعات الأيديولوجية في ممارسة العمل الاجتماعي كانت أكثر تعقيداً من مجرد تعديلات تنظيمية. فقد وجدت توجهات متنافسة ومتناقضة عديدة، وحتى داخل كل تيار أيديولوجي كانت هناك أفكار متباينة. وكان التناقض الرئيسي يتمحور حول أصل الشر؛ وبعبارة أخرى: هل المجتمع هو المريض أم الفرد؟

تشكّلت مجموعتين مهيتين خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر: الأولى منظمة خيرية تأسست عام 1887 في بوفالو، والثانية رابطة الجوار في مدينة نيويورك، التي تأسست عام 1886. انتشرت هذين الحركتين بسرعة، واستندتا إلى خلفيات أيديولوجيات مختلفة تعود إلى إنجلترا الفيكتورية. كما امتلكت كلٌّ منهما مناهج عمل مختلفة. وقد جذبت هذه الحركات أشخاصاً متعلمين تعليماً جيداً من الطبقات العليا والمتوسطة، وكانت جاذبة على نحو خاص للشابات اللواتي انخرطن فيما سعيًا إلى مكانة اجتماعية أعلى واستقلال اقتصادي. ولكلتا الحركتين جذور دينية قوية، إذ كان معظم النشاط من البروتستانت، إلى جانب وجود كاثوليك، بل وانضمَّ أيضاً بعض اليهود.

على الرغم من اختلاف الأيديولوجيات وأساليب العمل، كان لكلٍ من حركة الاستيطان وحركة المنظمات الخيرية تأثير بالغ في تطوّر العمل الاجتماعي كممارسة. وقد كانت كل من جين أدامز¹² وماري ريتشموند رائدتين مهمتين في هاتين الحركتين. انتقلت أدامز والمتعاطفون معها إلى الأحياء الفقيرة وعاشوا هناك مع الأشخاص الذين سعوا إلى مساعدتهم. وكان الافتراض الأساسي لحركة الاستيطان أنّ البيئة هي المريضة، ولذلك يجب تغييرها للقضاء على يؤس الناس وفقيرهم. أمّا جمعية المنظمات الخيرية، فلم تكن مهتمة بإعادة الهيكلة الاجتماعية، إذ انطلقت من افتراض أنّ الفرد هو سبب فقره ومشكلاته الاجتماعية. ومن الخصائص المشتركة لهاتين الحركتين في تاريخ العمل الاجتماعي أنّهما نشأتا أولاً كحركات وكممارسة. استندت ممارساتهما بطبيعة الحال، إلى تصوّر معيّن لأصل وطبيعة الشر وكيفية القضاء عليه. غير أنّ هذه الحركات وُلدت أساساً كممارسات موجّهة للفقراء، ولم يكن لها أصل في تقاليد بحثية راسخة أو فلسفات تاريخ متكاملة. أصبح الممارسون لاحقاً أكثر وعياً بالحاجة إلى المعرفة المنهجية بوصفها أساساً للعمل. وقد ظهر هذا الإدراك في وقت أبكر وبصورة أوضح في تفكير جين أدامز مقارنة بماري ريتشموند، على الرغم من أنّ ماري ريتشموند (1917، 1922) هي التي كتبت لاحقاً كتابين يُعدّان من الكلاسيكيات في مناهج العمل الاجتماعي¹³.

ارتبطت حركة الاستيطان في وقت مبكر جداً بالمؤسسات التعليمية، ونشأت علاقات شخصية بين جين أدامز والمتعاونين معها وبين علماء اجتماع مثل جون ديوي. وقد شكّلت هذه العلاقات، والرغبة في ربط ممارسة العمل الاجتماعي بتطوير المعرفة العلمية، الأساسَ لمدرسة شيكاغو للتربية المدنية والعمل الخيري، التي أصبحت لاحقاً مدرسة إدارة الخدمة الاجتماعية في جامعة شيكاغو عام 1920.

وعلى النقيض من ذلك، كان موقف ماري ريتشموند مختلفاً في سعيها إلى إنشاء منصة لدراسة الحالة من خلال التمدرس المهني، إذ عارضت البرامج التعليمية الجامعية، وجادلت بأن ذلك من شأنه أن يدمّر الانخراط الطبيعي للعاملين الاجتماعيين في العمل الخيري. ودافعت بدلاً من ذلك عن مدرسة مستقلة لتعليم العمل الاجتماعي. وقد تأسست المدرسة الخيرية في نيويورك من خلال عمل جمعية المنظمات الخيرية (التي أصبحت لاحقاً مدرسة نيويورك للعمل الاجتماعي)، وفي أواخر الأربعينيات تم دمجها في جامعة كولومبيا.

تتمتع فكرة الاتجاه من الممارسة إلى النظرية بتقليد قوي في العمل الاجتماعي، وهو ما يمنح العمل الاجتماعي هويته التاريخية أساسًا كممارسة وكنشاط مهني. غير أنّ السؤال يظل مطروحًا حول دوره فيما يتعلق بالعمل الاجتماعي كتقليد بحثي: هل يعمل هذا الاتجاه كألية دافعة للبحث في العمل الاجتماعي؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف؟ تتمثل فرضيتي في أنّ لهذا الاتجاه أهمية كبيرة بالنسبة للعمل الاجتماعي كتقليد وتوجه بحثي، وهي فرضية لا يمكن تقييمها إلا من خلال وصف تاريخ هذه الفكرة وتحليل تطورها.

إطار نظري

تركز هذه المقالة على متغيرين مركزيين يرتبطان بجوانب مختلفة من العمل الاجتماعي. يتمثل المتغير الأول في العلاقة بين النظرية والممارسة في سياق تاريخ الأفكار. وأميّز هنا بين اتجاهين رئيسيين في هذا التاريخ: الاتجاه من النظرية إلى الممارسة، والاتجاه من الممارسة إلى النظرية. أما المتغير الثاني فيتعلق بطبيعة المشكلات الاجتماعية. فقد هيمن في تاريخ الفكر مفهوم أساسيان: المجتمع بوصفه مريضًا، والفرد بوصفه مريضًا. غير أنّ مفهوم "المرض" ذاته كان مرتبطًا بسياق تاريخي محدد. ولهذا أفضل استخدام مفهوم توليد المشكلة، أي التمييز بين المجتمع والفرد باعتبارهما كيانيين منتجين للمشكلات الاجتماعية. تم تبسيط هذين الاتجاهين في تاريخ الأفكار في النموذج المفاهيمي الذي أعتمده، بغرض توضيح المسارات المختلفة التي اتبعها المنظرون والممارسون. وفي الواقع، فإن العلاقة بين النظرية والتطبيق علاقة معقدة، وتُعد من أكثر القضايا مركزية في نظرية العلم وعلم اجتماع المعرفة. وهدفي هنا ليس تقديم مراجعة شاملة لمواقف نظرية المعرفة، غير أنني أجد الإشكاليات التي ناقشها ليدمان (1977) في كتابه *Motsatsernas spel* ذات أهمية خاصة، لما تطرحه من أسئلة إبستمولوجية وأنطولوجية عميقة. كما يمكن الإشارة إلى أعمال أخرى في هذا السياق، مثل دراسة ليندهولم (1979).

تشير معظم الأدبيات إلى أنّ النظرية والممارسة (أو النظرية والمواد التجريبية) تتمتعان بدرجة من الاستقلال النسبي داخل العلوم الاجتماعية. وقد قدّم ليدمان (1977) أدلة عديدة على ذلك من خلال تحليله لمفهوم الجدل (الديالكتيك). كما توصل إريكسون (1981) إلى نتائج مماثلة من منظور سوسولوجي. وتؤكد دراسة نيلسون وسونيسون (1988) حول استخدام البحث في العمل الاجتماعي أنّ العلاقة بين البحث والممارسة في هذا المجال ليست علاقة اندماج مباشر، بل تقوم أساسًا على استقلال نسبي بين المجالين.

يمكن تبسيط العلاقة بين النظرية والممارسة لأغراض تحليلية، من خلال الحديث عن اتجاهين:

- (1) الأول هو الاتجاه من النظرية إلى التطبيق، حيث تُعد المعرفة النظرية ونتائج البحث أساسًا للفعل الاجتماعي والممارسة المهنية. وتُمنح النظرية في هذا الإطار أسبقية بوصفها أداة للتغيير الاجتماعي، دون أن يعني ذلك التقليل من أهمية الممارسة.
- (2) أما الاتجاه الثاني فهو من الممارسة إلى النظرية، حيث تُعد الممارسة الاجتماعية والعمل الميداني مصدرًا رئيسيًا لإنتاج المعرفة النظرية. وينطبق الأمر نفسه على متغير طبيعة المشكلات الاجتماعية، الذي يُقسم بدوره إلى مستويين. فرغم الإدراك المعاصر بأن أسباب المشكلات الاجتماعية متعددة المستويات ومتداخلة، فإن تاريخ الأفكار يُظهر أنّ الفاعلين والمفكرين انطلقوا غالبًا من أحد تصورين: (1) إما المجتمع بوصفه مولدًا للمشكلات؛ (2) أو الفرد بوصفه كذلك.

فقد رأى من أعادوا أسباب المشكلات الاجتماعية إلى المجتمع أن الخلل كامن في البنية الاجتماعية ذاتها. وكان هذا التصور مهيمنًا لدى مفكري القرن التاسع عشر، الذين سعوا إلى إحداث تغيير شامل في المجتمع من أجل تحسين ظروف الحياة. ويُعد التحليل الماركسي مثالًا نموذجيًا على هذا التوجه، بما يحمله من مشروع ثوري لإعادة بناء المجتمع. إلى جانب ذلك، ظهرت مقاربة إصلاحية أقل راديكالية، اعتمدت على التغيير التدريجي أو ما سماه كارل بوبر (1957) «الهندسة الاجتماعية الجزئية». ومع تطور القرن العشرين، برز مفهوم البيئة والاهتمام بالبنى الاجتماعية بوصفها محددًا أساسيًا للمشكلات. في المقابل، ينطلق التصور الثاني من اعتبار الفرد مصدرًا للمشكلة الاجتماعية، حيث تُعزى المشكلات إلى اختلالات نفسية أو أخلاقية. يصبح علاج الفرد وفقا لهذا المنظور، هو المدخل الأساسي لمعالجة المشكلات الاجتماعية، من خلال أساليب العلاج النفسي والتربوي والأخلاقي.

انطلاقًا من هذين المتغيرين، يمكن بناء جدول تحليلي رباعي الحقول يوضح الاتجاهات المختلفة في تاريخ الأفكار:

الجدول (1): إطار نظري

العلاقة بين النظرية والممارسة في تاريخ الأفكار			
من الممارسة إلى النظرية	من النظرية إلى الممارسة		
3	1	المجتمع كمولد للمشاكل الاجتماعية	طبيعة المشاكل
4	2	الفرد كمولد للمشاكل الاجتماعية	الاجتماعية

تتميّز الخانة (1) باتجاه من النظرية إلى الممارسة، و بالتصور القائل إن المجتمع هو مصدر المشكلات. ويُعد علم الاجتماع كنشاط تغيير، والسانسيمونية، والماركسية، أمثلة واضحة على هذا الاتجاه. أما الخانة (2)، فتجمع بين الاتجاه من النظرية إلى الممارسة وبين تصور الفرد بوصفه مصدر المشكلات. وتندرج ضمنها التأثيرات النفسية المختلفة التي أثرت في العمل الاجتماعي، كما يوضح روبنسون (1930) في تحليله لتأثير النظريات النفسية على ممارسة العمل الاجتماعي، ولا سيما في تقليد دراسة الحالة لدى ماري ريتشموند. وتتميّز الخانة (3) بالانتقال من الممارسة إلى النظرية، مع اعتبار المجتمع مصدرًا للمشكلات. وتُعد جين آدمز وحركة المستوطنات (Settlement Movement) من أبرز الأمثلة الكلاسيكية التي تندرج ضمن هذا الاتجاه. أما الخانة (4)، فتجمع بين الاتجاه من الممارسة إلى النظرية، والنظر إلى الفرد بوصفه مولدًا للمشكلات، ويُعد نموذج المنظمات الخيرية، وعلى رأسها ماري ريتشموند، المثال الأوضح على ذلك.

خاتمة

كان الهدف من هذه الدراسة هو تطوير إطار مرجعي نظري يُسهم في تحليل وتقييم جذور تاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي. وقد انطلقت الدراسة من افتراض أساسي مفاده أن العمل الاجتماعي يشكّل في آنٍ واحد نشاطًا مهنيًا وتخصصيًا علميًا. وانطلاقًا من هذا التصور، طُرِح السؤال المركزي التالي: هل يمكن تعريف العمل الاجتماعي بطريقة تميزه بوصفه مجالًا معرفيًا ومهنيًا قائمًا بذاته، بحيث يمكن تحديد موضوعه، ومجال ممارسته، وتقاليدته الفكرية التاريخية؟

يمكن إرجاع تنوع تعريفات العمل الاجتماعي إلى كونه نشاطًا عمليًا من جهة، وتخصصيًا علميًا من جهة أخرى. ومن الطبيعي أن تتعدد هذه التعريفات، نظرًا لوجود تفاعل مستمر بين النماذج المفاهيمية والواقع الاجتماعي المتغير. فالبحث والممارسة في

العمل الاجتماعي يجريان في سياقات متعددة ومتغيرة، ما يؤدي إلى تطور مستمر في تقاليده الفكرية. ومن ثمّ، يصبح اختيار المنظور التاريخي أمرًا حاسمًا في تحديد تعريف العمل الاجتماعي. إن تعدد التعريفات لا يُعد نقصًا علميًا، بل يعكس طبيعة الحقل نفسه، وتتمثل مهمة تاريخ الأفكار هنا في الكشف عن هذه التصورات المختلفة وتحليلها.

كما أُبرز في هذه الدراسة أن العمل الاجتماعي ليس مجرد مجال معرفي، بل هو أيضًا ممارسة مهنية تهدف إلى إحداث التغيير الاجتماعي. وتنطلق هذه الممارسة من فكرة *homo adjuvans* أو نزعة الإنسان إلى تقديم المساعدة المتبادلة، وهي فكرة أساسية في فهم جذور العمل الاجتماعي. غير أن الاكتفاء بهذا التفسير الإنساني العام لا يكفي لفهم العمل الاجتماعي بوصفه تخصصًا علميًا ومجالًا مهنيًا منظمًا. ولذلك تم التأكيد على ضرورة ربط تحليل تاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي بتطور العلوم الاجتماعية، ولا سيما منذ القرن الثامن عشر، حيث بدأت تبلور الأسس النظرية للتحليل الاجتماعي. أما القرن التاسع عشر، فيُعد مرحلة حاسمة، إذ شهد تشكّل الفعل الاجتماعي المنظم الذي أسهم مباشرة في بلورة العمل الاجتماعي بصورته الحديثة.

يتطور العمل الاجتماعي بالتوازي مع تخصصات أخرى داخل العلوم الاجتماعية، سواء من حيث التنظير أو الممارسة. ويؤدي هذا التوازي إلى طرح سؤال جوهري يتعلق بشرعية التخصص وهويته العلمية: ما حدود العمل الاجتماعي؟ وما موقعه بالنسبة إلى التخصصات الأخرى؟

وقد ناقشت هذه الدراسة هذه الإشكالية من خلال العلاقة بين علم الاجتماع والعمل الاجتماعي، مشيرة إلى أن الحدود بين التخصصين ستظل موضع نقاش دائم، نظرًا لتقاطع مجالات الاهتمام، سواء من حيث تحليل الظواهر الاجتماعية أو السعي إلى التغيير الاجتماعي. وفي حين يتمتع علم الاجتماع بقوة نظرية ومنهجية واضحة، يتميز العمل الاجتماعي بقربه من الممارسة وبقدرته على التدخل العملي. ويظل مستقبل هذا التوازن مرهونًا بقدرته كل تخصص على تطوير أدواته ومفاهيمه الخاصة.

تبرز أهمية العودة إلى الكلاسيكيات في هذا السياق، بوصفها مرجعية فكرية أساسية. فالكلاسيكيون لا يكتسبون أهميتهم من انتمائهم الزمني فحسب، بل من قدرتهم على تقديم أفكار لا تزال صالحة لتحليل قضايا الحاضر. ومن ثمّ، فإن بناء هوية العمل الاجتماعي يمر عبر إعادة قراءة هذه الكلاسيكيات وربطها بإشكالاته المعاصرة.

ولهذا الغرض، يقدّم الإطار النظري المعروض في هذه الدراسة أداة تحليلية قائمة على متغيرين أساسيين: العلاقة بين النظرية والممارسة، وطبيعة المشكلات الاجتماعية. وهذان المتغيران يشكّلان محورًا مشتركًا في تفكير المنظرين الكلاسيكيين. ويمكن استخدام هذا الإطار لتصنيف المؤلفين والممارسين، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهم، وكذلك لتحديد مناطق التوتّر داخل حقل العمل الاجتماعي.

وبناءً على ذلك، يمكن توظيف هذا الإطار النظري في:

- تصنيف الكلاسيكيين ووكلاء الفعل الاجتماعي، وتحليل تطور الأفكار داخل تاريخ العمل الاجتماعي.
- تبرير اختيار نصوص معينة بوصفها كلاسيكيات في العمل الاجتماعي.
- توليد فرضيات بحثية جديدة تسهم في تطوير البحث النظري والممارسة المهنية في هذا المجال.

الهوامش

1. جميع الحواشي الواردة في هذا النص من إعداد المترجمين، وهي ملاحظات تفسيرية وتوضيحية تروم إبراز السياقات المفاهيمية والسوسيواقتصادية والتاريخية للنص الأصلي، ومساعدة القارئات والقراء على استيعاب المرجعيات الضمنية التي يستند إليها.
2. ألف بيورن إركسون (Eriksson) 1988 كتاباً بعنوان: «نشأة العلوم الاجتماعية - تفسير من منظور سوسولوجي». يتناول هذا الكتاب كيف ظهرت العلوم الاجتماعية وتطورت، ويحلل ذلك من خلال منظور علم الاجتماع، أي من خلال فهم المجتمع والتغيرات التي حدثت فيه.
3. هذا التعبير اللاتيني Homo ad juvendum paratus يعني: "الإنسان المستعد لمساعدة الآخرين" أو "الإنسان المهيأ للمساعدة". يشير هذا التعبير في السياق العلمي (وخاصة في العمل الاجتماعي)، إلى أن الإنسان بطبيعته يمتلك استعداداً داخلياً لمساعدة غيره، وأن هذا الميل ليس مكتسباً فقط، بل هو جزء من طبيعته الإنسانية.
4. يُقصد هنا بـ "تفكير الفاعل" و"تفكير المتفرج": نمطان مختلفان من إدراك الواقع الاجتماعي وتحليله. فتفكير الفاعل (actor's thinking) يشير إلى منظور الأفراد المنخرطين مباشرة في الفعل الاجتماعي، حيث يُفسِّرون أفعالهم وسلوكهم انطلاقاً من دوافعهم الذاتية ومعانيمهم الخاصة. أمّا تفكير المتفرج (spectator's thinking) فيمثل منظور الملاحظ الخارجي أو الباحث، الذي يسعى إلى تفسير الظواهر الاجتماعية بشكل تحليلي وموضوعي، اعتماداً على مفاهيم ونماذج نظرية.
5. ماري ريتشموند (Mary Ellen Richmond) (1861-1928)، هي رائدة أمريكية في العمل الاجتماعي، ومن أبرز المساهمات التي قدمتها أنها حاربت من أجل الحصول على تشريع للزوجات المهجورات وأسست لجنة عمل الأطفال في بنسلفانيا والجمعيات الخيرية المرتبطة بها ومحكمة الأحداث وجمعية الإسكان.
6. يشير هذا الفهم إلى أن علم الاجتماع لا يقتصر فقط على دراسة المجتمع ووصفه، بل يمكن أن يكون أيضاً أداة فاعلة للتغيير الاجتماعي. وتعني كلمة "نشاط وكيلي" (agent activity) أن هناك فاعلين اجتماعيين (أشخاص أو جماعات) يستخدمون المعرفة السوسولوجية من أجل التأثير في الواقع وتغييره. أي أن علم الاجتماع هنا لا يكون حيادياً فقط، بل يصبح وسيلة لفهم المشكلات الاجتماعية وأداة للتدخل.
7. تشير المدرسة الاسكتلندية إلى مجموعة من المفكرين في القرن الثامن عشر في اسكتلندا، مثل: (آدم سميث، آدم فيرغسون، جون ميلار). وقد لعب هؤلاء المفكرون دوراً مهماً في تطوير التحليل العلمي للمجتمع، ويُعتبرون من المؤسسين الأوائل للعلوم الاجتماعية الحديثة.
8. يُقصد بمفهوم «التقدم البشري» (Human Progress) الاعتقاد بأن المجتمعات الإنسانية قابلة للتحسن والتطور عبر الزمن، من خلال الانتقال من أوضاع متخلفة إلى أوضاع أكثر تقدماً من حيث الرفاه والعدالة والتنظيم الاجتماعي. وقد ارتبط هذا المفهوم بالفكر الاجتماعي الكلاسيكي، خاصة لدى مفكري التنوير، حيث يُفترض أن الإنسان يمتلك نزعة فطرية نحو تحسين ظروفه المعيشية والتعاون مع الآخرين. وتكمن أهمية هذا المفهوم في كونه يشكل أساساً نظرياً لمشروعية

التدخلات في العمل الاجتماعي، باعتبار أن المشكلات الاجتماعية ليست ثابتة، بل قابلة للتغيير والمعالجة في إطار تطور المجتمع.

9. يتم ترجمة كلمة (client) المقصود من قبل الكاتب هنا، هنا هو الوصف "التجريدي" لصفة الشخص (المستفيد) الذي يعمل معه العامل الاجتماعي في سياق العمل الاجتماعي.

10. كان Charles Fourier شارل فورييه (1778-1837) فيلسوفًا فرنسيًا ومن أوائل منظري الاشتراكية الطوباوية. وقد طوّر نماذج لمجتمعات مثالية عُرفت باسم «الفالانستير» (أو الكتائب)، تقوم على مبادئ التعاون والانسجام الاجتماعي وتلبية الحاجات الإنسانية في صميم تنظيمها. هدفت أفكاره إلى معالجة المشكلات الاجتماعية من خلال مشاريع إصلاحية عملية، وكان لها تأثير لاحق على الحركات الاشتراكية والإصلاحية الاجتماعية.

11. بهذا المعنى، لا يقتصر علم الاجتماع على التحليل والتفسير، بل يتحول إلى أداة تدخل اجتماعي واعي، تسعى من خلاله الفاعلية الاجتماعية إلى إعادة تشكيل الواقع وفق تصورات نظرية مسبقة.

12. تأسست الجمعية الأمريكية للعلم الاجتماعي (American Social Science Association)، سنة 1865 في بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك من يلقبها بأأم الجمعيات، تم تصميمها كشبكة للإصلاح الاجتماعي، وهي عبارة عن تجمع لأطباء وصحفيين ورجال أعمال ومسؤولين حكوميين، ومصالحين وباحثين اجتماعيين في مجال الأعمال الخيرية، تجعلهم الجمعية على اتصال مع بعضهم البعض من أجل توصيل البحوث في المشاكل الاجتماعية، وعلى اتصال مع السياسيين لتنسيق مجموعة متنوعة من الإصلاحات الاجتماعية وإدخالها في التشريعات، عقدت اجتماعها النهائي سنة 1909.

13. في 20 مايو 1874، إلتقى عشرون مندوبًا من المجالس الحكومية للجمعيات الخيرية في ماساتشوستس وكونيتيكت ونيويورك وويسكونسن في مدينة نيويورك لتنظيم المؤتمر الأول لمجالس الجمعيات الخيرية العامة، بدعوة من الجمعية الأمريكية للعلم الاجتماعي. في عام 1879 إلتقى 25 ممثلًا خارج رعاية الجمعية الأمريكية للعلم الاجتماعي، وغيروا اسم مؤسستهم إلى المؤتمر الوطني للجمعيات الخيرية والإصلاحيات، وبعد الانفصال عن الجمعية، غير قادة المؤتمر اتجاه المنظمة من الاهتمام بالاستقصاء العلمي، وحاولوا تركيز اهتمامهم على الإدارة وأساليب الممارسة. وقد عرفت مشاركة العديد من الأسماء البارزة في العمل الاجتماعي؛ كماري ريتشموند، وأبراهام فليكسنر، وجين آدمز، في سنة 1917 سيتم تغيير اسم المؤتمر ليصبح، المؤتمر الوطني في العمل الاجتماعي، والذي سيتغير أيضا في 1956، إلى المؤتمر الوطني للرعاية الاجتماعية.

14. جين آدمز (Jane Addams 1860- 1935) هي ناشطة وعاملة اجتماعية أمريكية، في عام 1931 حصلت على جائزة نوبل للسلام، ومعترف بها كمؤسسة لمهنة العمل الاجتماعي، ومن أهم ما ساهمت به هو دفاعها عن حق المرأة في التصويت للتعبير عن رأيها، عندما توفيت آدمز سنة 1935، كنت أشهر شخصية عامة في الولايات المتحدة الأمريكية.

15. يُقصد هنا بكتّابي ماري ريتشموند: "التشخيص الاجتماعي" (Social Diagnosis)، الصادر سنة 1917، و "ما هو العمل الاجتماعي مع الحالات؟: عرض تمهيدي" (What Is Social Case Work? An Introductory Description)، الصادر سنة 1922، وهما من الأعمال التأسيسية في تطوير منهج دراسة الحالة في العمل الاجتماعي.

حول الترجمة

هذا النص ترجمة عن الإنجليزية للدراسة المنشورة في المجلة الاسكندنافية للرعاية الاجتماعية، وقد جاء عنوانها موسوماً بـ "دراسة في تاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي: إطار نظري، مؤلفها هالوك سويدان (Haluk Soydan)، علماً بأن تاريخ صدورها يعود إلى سنة 1993.

بيان إتاحة البيانات

لا تتضمن هذه المقالة بيانات بحثية جديدة، بحيث تستند الترجمة إلى المقالة الأصلية المنشورة المشار إليها بشكل ببليوغرافي أدناه.

إحالة دقيقة إلى المصدر الأصلي

Soydan, H. (1993). A study of the history of ideas in social work-a theoretical framework. *Scandinavian Journal of Social Welfare*, 2(4), 204-214.

بيان الدقة/التكييف

تُقدّم هذه المقالة بوصفها ترجمة عربية للنص الأصلي مع تكييف اصطلاحي محدود وإضافات تفسيرية في الهوامش أعدها المترجمان لخدمة القارئ العربي؛ وعند أي التباس دلالي أو اصطلاحي يُعد النص الأصلي المرجع المعتمد.

الشكر والتقدير

يتقدم المترجمان بالشكر إلى هيئة تحرير المجلة وإلى كل من أسهم في مراجعة النص وتيسير إعداده للنشر.

الموافقة الأخلاقية

لا تنطبق الموافقة الأخلاقية على هذه المقالة؛ لأنها ترجمة/دراسة نظرية لا تتضمن مشاركة بشرية أو تجارب ميدانية أو بيانات شخصية.

مُساهمات المترجمين

ساهم المترجمان في ترجمة النص وصياغته العربية ومراجعته العلمية واللغوية وإعداد الهوامش والتوثيق، ووافقا على النسخة النهائية المعدة للنشر.

بيان الإفصاح

يصرّح المترجمان بعدم وجود أي تضارب مصالح ذي صلة بهذه المقالة أو بترجمتها.

التمويل

لم يتلق المترجمان أي تمويل خاص لإعداد هذه المقالة أو ترجمتها.

نبذة عن المؤلف والمترجمين

هالوك سويدان: (Haluk Soydan) هو باحث وأكاديمي سويدي بارز في مجال العمل الاجتماعي والعلوم الاجتماعية. شغل منصب أستاذ في جامعة أوريبرو (Örebro University) في السويد، وتركزت أبحاثه بشكل أساسي على: تاريخ الأفكار في العمل الاجتماعي، العلاقة بين النظرية والممارسة في العمل الاجتماعي، تقييم السياسات الاجتماعية، منهجيات البحث في العمل الاجتماعي، استخدام المعرفة العلمية في الممارسة المهنية.

الحسين سوسان: باحث في سلك الدكتوراه، تخصص علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، وجامعة كاسل، ألمانيا.

إبراهيم حموش: باحث في علم الاجتماع، مختص اجتماعي بقطاع التعليم، ومهتم بقضايا العمل الاجتماعي.

الأوركيد ORCID

Lahoussine SOUSAN  <https://orcid.org/0009-0000-4360-9244>

Ibrahim HAMMOUCH  <https://orcid.org/0009-0007-4574-2533>

المراجع

- Aron, R. (1968). *Main currents in sociological thought* (Vol. 1). Penguin Books.
- Asplund, J. (1987). *Det sociala livets elementära former* [Elementary forms of social life]. Korpen.
- Berglind, H. (1988). Social work in Sweden: Practice and research. In H. Berglind (Ed.), *Towards an action theory for social work: Five essays* (pp. 1-20). Almqvist & Wiksell International.
- Bernler, G., & Johnsson, L. (1985). *Handledning i psykosocialt arbete* [Supervision in psychosocial work]. Natur och Kultur.
- Bernler, G., & Johnsson, L. (1988). *Teorier i psykosocialt arbete* [Theories of psychosocial work]. Natur och Kultur.
- Boehm, W. (1958). The nature of social work. *Social Work*, 3(2), 10-18.
- Bowers, S. (1949). Nature and definition of social casework. *Journal of Social Casework*, 30(8), 311-317.



- Brante, T. (1987). Om konstitueringen av nya vetenskapliga fält: Exemplet forskning om socialt arbete [On the construction of new scientific fields: Research on social work as an example]. *Sociologisk Forskning*, (4), 30-60.
- de Schweinitz, K. (1924). *The art of helping people out of trouble*. Houghton Mifflin.
- Eliasson, R. (1987). *Forskningsetik och perspektival* [Research ethics and selection of perspective]. Studentlitteratur.
- Eriksson, B. (1981). Om sociologin och paradigm [On sociology and paradigm]. *Sociologisk Forskning*, (1), 3-17.
- Eriksson, B. (1988). *Samhällsvetenskapens uppkomst: En tolkning ur den sociologiska traditionens perspektiv* [The genesis of social science: Interpreted from the sociological perspective]. Hallgren & Fallgren.
- Frängsmyr, T. (1980). *Framsteg eller förfall: Framtidsbilder och utopier i västerländsk tanketradition* [Progress or decline: Visions and utopias in Western thought]. Liber.
- Gartland, R. (1940). Editorial notes. *The Family*, 21(4), 125-126.
- Germain, C., & Gitterman, A. (1980). *The life model of social work practice*. Columbia University Press.
- Gitterman, A., & Germain, C. (1976). Social work practice: A life model. *Social Service Review*, 50(4), 601-610.
- Hessle, S. (1982). *Att arbeta med människor: Riktlinjer för psykosocialt arbete* [To work with people: Guidelines for psychosocial work]. AWE/GEBERS.
- Hirdman, Y. (1989). *Att lägga livet till rätta: Studier i svensk folkhemspolitik* [To put life right: Studies in Swedish welfare policy]. Carlssons.
- Hollis, F. (1964). *Casework: A psychological approach*. Random House.
- Lennér-Axelsson, B., & Thylefors, I. (1982). *Psykosocialt behandlingsarbete* [Psychosocial treatment work]. Natur och Kultur.
- Liedman, S.-E. (1977). *Motsatsernas spel* [Interplay of contradictions]. Cavefors.
- Lindholm, K., & Askeland, K. (Eds.). (1981). *Vad är socialt arbete?* [What is social work?]. Liber.
- Lindholm, S. (1979). *Vetenskap, verklighet och paradigm* [Science, reality and paradigm]. AWE/GEBERS.
- Lowry, F. (1937). Objectives in social casework. *The Family*, 18(8), 261-268.
- Nilsson, K., & Sunesson, S. (1988). *Konflikt, kontroll, expertis* [Conflict, control and expertise]. Arkiv.
- Perlman, H. H. (1965). Casework and the diminished man. In W. Lurie (Ed.), *Encyclopedia of social work*. National Association of Social Workers.
- Popper, K. (1957). *The poverty of historicism*. Routledge & Kegan Paul.

- Richmond, M. (1917). *Social diagnosis*. Russell Sage Foundation.
- Richmond, M. (1922). *What is social case work: An introductory description*. Russell Sage Foundation.
- Robinson, V. (1930). *A changing psychology in social case work*. University of Pennsylvania Press.
- Rubington, E., & Weinberg, M. (1971). *The study of social problems: Five perspectives*. Oxford University Press.
- Soydan, H. (1993). A study of the history of ideas in social work: A theoretical framework. *Scandinavian Journal of Social Welfare*, 2, 204-214.
- Swedner, H. (1983). *Socialt arbete: En tankeram* [Social work: A frame of reference]. Liber.
- Swedner, H. (1987). *Etik och kongruens i välfärdsarbetet* [Ethics and congruity in welfare work]. Förbundet för forskning i socialt arbete.
- Swedner, S. (1985). *Forskning i socialt arbete: Dess historiska bakgrund och utvecklingsmöjligheter* [Research in social work: Its historical background and development opportunities]. University of Gothenburg.
- Wilsnack, W. H. (1946). Handling resistance in social casework. *American Journal of Orthopsychiatry*, 16(1), 297-311.
- Zeitlin, I. M. (1981). *Ideology and the development of sociological theory*. Prentice-Hall.
- Zimbalist, S. E. (1977). *Historic themes and landmarks in social welfare research*. Harper & Row.